مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٧)

هوج دى سان فيكتور وتصوفه

إعداد

د / نادية عبد الغنى البرماوى

أستاذ فلسفة العصور الوسطى المساعد

كلية الآداب - جامعة المنوفية

السنة ٢٤ العدد (٩٢) يناير ٢٠١٣م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- maii: rgfa2012@ Gmaii.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هوج دى سان فيكتور وتصوفه

د/ نادية عبد الغنى البرماوى
أستاذ فلسفة العصور الوسطى المساعد
كلية الآداب جامعة المنوفية

ملخص البحث

يتناول هذا البحث بالدراسة شخصية هـوج دي سـان فيكتـور والنزعـة الصوفية عنده، ويتألف هذا البحث من مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة من المراجع.

أما المقدمة فقد تناولت فيها التعريف بالبحث وأهميته، والمـنهج المـستخدم فيه، كما أشرت فيها كذلك إلى التساؤلات الموجهة للدراسة.

- أما المدخل فعنوانه:- "**حياة هوج ومؤلفاته**"، وقد عرضت فيه نبذة موجزة عن حياة هوج وأهم مؤلفاته .
- أما المبحث الأول فعنوانه:- "**مفهوم التصوف وطبيعته عند هوج**"، وقد عرضت فيه لمفهوم التصوف وطبيعته عند هوج .
- أما المبحث الثاني فعنوانه:- "**صلة التصوف بالمعرفة عند هوج**"، وقد بينت فيه مدى الارتباط الوثيق بين الأبعاد الصوفية والنظرية المعرفية عند هـوج، كمـا عرضت فيه لثلاثة درجات معرفية يقوم على أساسها المذهب الـصوفى عنـد هوج، مبينه مدى تأثره بالسابقين عليه فى قوله بهذه الدرجات.
- أما المبحث الثالث فعنوانه:- "**مراحل الصعود إلى الله تعالى عند هـوج**"، وقـد عرضت فيه لثلاثة مراحل صوفية – إن صح التعبير – لأجل الوصول إلى الله تعالى عند هوج.

أما الخاتمة فقد دونت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها ، وقد أعقبتها بقائمة مـن المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى إعداد هذه الدراسة، والله تعـالى هـو الموفق للسداد،،،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة :

شهد القرن الثاني عشر ثقافة عقلية، ورهبنة حقيقية فرضت نفسها على الساحة الفلسفية، ويمتاز القرن الثانى عشر بأنه عصر المدارس الكاتدرائية؛ إذ كانت الحياة العقلية حتي القرن الحادى عشر مطبوعة – إلي حد بعيد – بطابع إقطاعى، وكان الدير هو مركزها الذي كان يعيش ويزدهر في الإطار العام للاقتصاد الإقطاعى، إلى أن جاء القرن الثانى عشر؛ فشهد ثورة فى كافة المجالات، كما تعددت المدارس واختلفت؛ فظهرت المدرسة الأسقفية أو الكاتدرائية، وفى هذا الإطار الذى شغلته هذه المدرسة وُضعت المقومات التقليدية فى خدمة مثل أعلى جديد ألا وهو السعى الجاد إلى تحقيق الاتصال الفعال، والمثمر بين العقل والكلمة، كما ركزت هذه المدارس الكاتدرائية أيضاً على الاستمتاع بالفنون الحرة فى الوقت الذى كانت فيه مدارس الأديرة تفضل تأمل الكتاب المقدس، وكانت لكل مدرسة تخصصها؛ فظهرت مدرسة أورليان التى اهتمت بالنحو، وظهرت مدرسة شارتر التي اهتمت بالرباعية أى (الحساب والفلك والهندسة والموسيقى)، وظهرت مدرسة باريس التى اهتمت بالجدل، وكانت في البداية محدودة تتمثل في كاهن واحد وكرسى واحد وعدد من المحاورين، ثم اتسعت بعد ذلك، ومن بين هذه المدارس التى ظهرت مدرسة دير سان فيكتور فى باريس والتى شهدت تألقاً كبيراً للعديد من الشخصيات.

وتعد شخصية هوج من أكبر الشخصيات التي ظهرت في هذه المدرسة ، كما تعد أيضا من أهم الشخصيات التى تناولت موضوع التصوف بالدراسة والتحليل، ومن هنا كان اختيارى لهذه الشخصية تحديدًا، وجعلها موضوع دراستى.

والحقيقة وعلى الرغم من تناول هوج لأكثر من قضية فى مذهبه الفلسفى، إلا أن قضية التصوف تعد من أهم القضايا التى ركز عليها فى دراساته وكتاباته، هذا بالإضافة إلى ما تتميز به القضايا الصوفية عامة، والفيكتورية خاصة من تنزيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فى التناول، وبساطة فى العرض وعظمة فى الرؤية، كما أنه يعد موضوعاً جديداً - إلى حد كبير - إذ لم يتعرض إليه بالدراسة والتحليل عدد كبير من الباحثين.

ولقد اعتمدت في إعداد هذه الدراسة على المنهج التحليلى المقارن، واستعنت كذلك بالمنهج النقدى، ويرجع سبب اختيارى لهذه المناهج إلى ما تتطلبه طبيعة الدراسة من عرض وتحليل لآراء هوج المتعلقة بالتصوف؛ بالإضافة إلى بيان مدى تأثره بالسابقين، وبيان مدى اتفاقه معهم أو اختلافه عنهم .

- أما فرضيات هذا البحث فيمكن صياغتها على النحو التالي:-

١ - ما هو مفهوم التصوف عند هوج؟ وما هى طبيعته؟

٢ - ما مدى الاتصال بين البعد الصوفى والبعد المعرفى عند هوج؟

٣ - ما هى المراحل، أو بالأحرى الدرجات المعرفية التى يقوم عليها تصوف هوج؟

٤ - ما هي مراحل الصعود إلى الله تعالى عند هوج ؟

وتتألف هذه الدراسة من مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة من المصادر والمراجع.

أما المقدمة فقد تناولت فيها التعريف بالبحث وأهميته، والمنهج المستخدم فيه، كما أشرت فيها كذلك إلى التساؤلات الموجهة للدراسة.

- أما المدخل فعنوانه:- "**حياة هوج ومؤلفاته**"، وقد عرضت فيه نبذة موجزة عن حياة هوج وأهم مؤلفاته .

- أما المبحث الأول فعنوانه:- "**مفهوم التصوف وطبيعته عند هوج**"، وقد عرضت فيه لمفهوم التصوف وطبيعته عند هوج .

- أما المبحث الثاني فعنوانه:- "**صلة التصوف بالمعرفة عند هوج**"، وقد بينت فيه مدى الارتباط الوثيق بين الأبعاد الصوفية والنظرية المعرفية عند هوج، كما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عرضت فيه لثلاثة درجات معرفية يقوم على أساسها المذهب الصوفى عند هوج، مبينه مدى تأثره بالسابقين عليه فى قوله بهذه الدرجات .

- أما المبحث الثالث فعنوانه:- **"مراحل الصعود إلى الله تعالى عند هوج"**، وقد عرضت فيه لثلاثة مراحل صوفية – إن صح التعبير – لأجل الوصول إلى الله تعالى عند هوج.

أما الخاتمة فقد دونت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها ، وقد أعقبتها بقائمة من المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى إعداد هذه الدراسة، والله تعالى هو الموفق للسداد،،،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مدخل : حياة هوج ومؤلفاته :

اولا : حياته :

يعد هوج واحداً من الشخصيات البارزة التي ظهرت في القرن الثاني عشر الميلادى، والحقيقة أننا لا نعرف كثيرًا عن حياته وعلى الأخص عن شبابه،وأغلب الظن أنه ولد فى ألمانيا حوالى عام ١٠٦٩م[١]، وهو ينتمى إلى أسرة نبيلة في ساكسوني Saxony تحديدًا[٢]، وقد تلقي دراساته الأولى بالقرب من Halberstadt * [٣] ثم رحل إلى باريس حوالى عام ١١٢٧م،والتحق برهبنة القديس فيكتور** المتأثرة بدورها بالتعاليم الساكسونية [٤] واستكمل دراسته بها، وظل منتمياً لها حتى

---

(١) جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة "مادة هوغ دى سان فيكتور" ، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٩٧. ص ٧١٤.

(2) Roger Baron: Hugues de Saint victor, dans Dictionnaire de Spiritualité, tome 3, "Ascetique et mystique" doctrine et histoire, publié sous la Direction de marcal uiller S. J., tomel, Gabrien beauches et ses fils, paris, 1969.p.901.

* تعرف الآن بشرق ألمانيا

See, the New Encyclopedia Britianica, Vol.,2, encyclopedia britianica, Inc. William Benton Publisher, London, 1973, p.188. Hugh of Saint victor.

(3) Frederick Copleston: A History of medieval Philosophy, methuen and co LTD, first Published, London, 1977. P.94 .

** تاسست تلك الرهبنة على يد وليم الشامبورى

See, James A. Weishipl: Hugh of Saint victor, an essay in The lexicon Universal Encyclopedia, lexicon Publications, Inc, New York, N. Y. without Date. P.292.

ثم ترأسها بعد ذلك القديس فيكتور الذى كان له دور بارز فى ازدهار هذه الرهبنة ، واستطاع أن يخطو بها خطوات واسعة إلى الأمام .

See, Julian Maries: History of Philosophy, Dover Publications, copyright, Inc New York, 1967.p. 149.

ولقد تأثر القديس فيكتور ببعض آباء الكنيسة الأوائل ، وبخاصة في تجاربهم التأملية =

See, John Marenbon : Later medieval Philosophy, (1150-1350), an= Introduction, Routledge & Kegan paul LTD, first Published London 1987 P.3.

(4) Joseph R. leahey : Hugh of Saint victor, an essay in The Encyclopedia Americana International Edition, Vol.14, Published by Grolier tutorvoltonal, Inc, Copyright, USA, 1983.p.533.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تم اختياره رئيساً لها عام ١١٣٣م [٥]، ولقد استطاع من خلال هذه الرهبنة أن يكتسب ثقافات عديدة [٦] كان لها أثرًا كبيرًا في تشكيل مذهبه الفلسفي وثقافته الروحية [٧] ،وقد توفى هوج فى باريس حوالى عام ١١٤١م تاركاً فعالية عقلية وأنماطا فلسفية بعيدة المدى في الرهبنة الفيكتورية [٨].

ثانيا : مؤلفاته :

حظى هوج – منذ حداثة سنه – بقدرة عجيبة وموهبة فائقة على الانفتاح الذهنى الذى استطاع من خلاله أن يطرق كل الأبواب، وأن ينفتح على جميع الثقافات، وأن ينفذ إلى كافة الأجواء[٩] ، وقد أدى تنوع مواهبه وسعة إطلاعه إلى تنوع مؤلفاته أيضاً وسعة إنتاجه[١٠]، فكان مؤلفاً ذي إنتاج غزير ومتنوع يلجأ في تأليفه – المرة تلو المرة– إلى التفسير التوراتي واللاهوت، وإلى الروحانيات والفنون الحرة [١١]، بعيداً عن النظرة الأنانية المحدودة، ومنفتحاً على ثقافات الفلاسفة واللاهوتيين فى العصر الوسيط[١٢].

أما عن مؤلفاته فهى تنقسم إلى مؤلفات كتابيه، أى متعلقة بالكتاب المقدس، ولاهوتية أى (دينية)، وأيضاً فلسفية وصوفية، ولقد ركزت معظم مؤلفاته الفلسفية على معالجة بعض القضايا الفلسفية والتساؤلات العقلية، كما ركزت على معالجة قضية التربية Education . أما مؤلفاته الصوفية فقد تركزت بشكل مباشر على المعانى الصوفية عامة، وصوفية الفكتوريين خاصة، ويمكن القول بأن هوج دي

(5) Frederick Copleston : op. cit., p.94 .
(6) Joseph R . leahey : op. cit., p. 533.
(7) Roger Baron : op. cit., p.901.
(8) Ibid. p.901.
(9) جورج طرابيشي : المرجع السابق ، ص ٧١٤ .
(10) نفس المرجع ، ص ٧١٤ .
(11) إدوار جونو: الفلسفة الوسيطية. ترجمة د علي زيعور، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط٢، بيروت ، ١٩٨٢م، ص ٩٧.
(12) F. John (Vieppel), Allan B. Wolter (O.F.M) : Medieval Philosophy, (from st. Augustine to Nicholas of cusa), the free , press, a Division of Macmillan Publishing, Co., Inc, New York, without Date,p.10.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سان فيكتور قد تأثر في مؤلفاته بقوة بالغة بالقديس أوغسطين * وأيضاً بالقديس ديونيسيوس **، ويعد مؤلفه "فى أسرار الإيمان المسيحى " On The Sacraments of the Christian Faith من أهم المؤلفات الدينية التى عالجت الكثير من الأسرار اللاهوتية والأمور الدينية؛ فهو يشتمل على العديد من الفصول والموضوعات المتعلقة بخلق الإنسان والملائكة، كما يتناول فيه الحديث عن إرادة الله تعالى، وأيضاً بعض الأمور الكنسية (١٣) .

كما كان لهوج أيضًا شروح على الكتاب المقدس،وأيضًا لديونيسيوس، وقد ترجمت هذه المؤلفات إلي اللغة اللاتينية من قبل جون سكوت أوريجينا * (١٤)، كما استطاع هوج أن يبتكر أسلوباً جديداً لأجل الارتقاء باللاهوت الطبيعى، كما استطاع أن يصعد ويرتقي فى أدلته على وجود الله تعالى، ليس فقط من خلال المنظورات (المرئيات)، ولكن أيضًا من خلال غير المنظورات، معتمداً فى ذلك علي الخبرة الداخلية، والحياة التأملية، كما استطاع أن يرسى قواعد البرهان الغائى، أعنى

---

* ولد فى تاغسته من أعمال نوميديا ، والآن من أعمال الجزائر عام ٣٥٤ ، وطالع شيئًا من التاليف فى الفلسفة ، سافر إلى روميه ثم دعى إلى ميلان لتعلم البيان ، اشتد به الميل إلى الترهبن بعد وفاة أمه ؛ فعاد إلى تاغسته ، ومكث بها ثلاث سنوات منعزلاً عن الناس، يروى عنه أنه كان زاهدًا قنوعًا ، يأمر اتباعه بالبساطة فى العيش والملبس والإحسان إلى المساكين ، وكان مهذبًا حسن السيرة ، وتوفى عام ٤٣٠، أشهر أعماله: الاعترافات، مدينة الله، وذكر عنها أنها ترجمت إلى العديد من اللغات لتعميم فوائدها . (انظر المعلم بطرس البستانى : دائرة المعارف "قاموس عام لكل فن ومطلب "، مادة القديس أوغسطين ، المجلد الرابع ، دار المعرفة الجامعية ، بيروت، ١٨٨٠م ، ص ٦٧٢ ، ٦٧٣، ٦٧٤) .

** لا نعلم عنه الكثير ، ولكن أرجح الآراء أنه أسقف ثورى تأثر بشدة بمذهب الأفلاطونية المحدثة ،وعاش ما بين أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس، آمن على يد الرسول بولس، وكان أحد قضاه أريوس، واستشهد فى أيام الامبراطور دومتيانوس.(انظر:دائرة المعارف الكتابية،تحرير وليم وهبة بباوى، "مادة القديس ديونيسيوس" ، المجلد الثالث، دار الجيل، ط١، بيروت ، ١٩٩١، ص ٤٧٥).

(13) Joseph R . leahey : op. cit , p. 533

* فيلسوف ولاهوتى ينتمى إلى القرن التاسع الميلادى

See, R.W Southern: The making of middle ages, hutchinson and co (Publishers), LTD. London. 1978. P.184.

(14) The New Encyclopedia Britianica, Vol.,2. p.188. Hugh of Saint victor.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المتعلق بغاية الطبيعة على أساس من حقائق الخبرة العملية والتجارب الواقعية فى الحياة التاملية(١٥) .

ويعد مؤلفه: Diduscalion هو المؤلف الرئيسى المعبر عن وجهة نظره الفلسفية، والذى قدمه فى سبعة أجـزاء 7Volumes(١٦) ولقـد استطاع هوج أن يقدم فى هذا المؤلف تصنيفاً للعلوم والفنون، مقتبساً بعض مبادئه من أرسطو* عن طريق بوئتيسوس Boetitus** ، وبعضها الآخر من العديد مـن الكتاب والمؤلفين المتأخرين؛ فهو يعالج أولاً الفنون الحرة، ثم اللاهوت، وأخيـراً التأملات الدينية، ولعله قد استفاض فى دراسة الفنون الحـرة كبدايـة أولـى، أو بالأحرى كتمهيد وإعداد لدراسة أرقى العلوم، ألا وهو علم اللاهوت، ولعـل هـذا الأمر كان موافقاً لطبيعة اللاهوتيين الذين يعتقدون أن الخلـق Creation يكـون مركزاً – فى المقام الأول – على الله تعالى، وأنه (أعنى الخلق) يعد بمثابة إظهار أو كشف أو إعلان عن الله تعالى، وهذا ما يتضح فى قوله:– " إنه لمن الكفايـة أو القناعة الطبيعية أن يتعلق الإنسان بالأسرار الإلهية؛ تلك التى تعد بمثابـة معرفـة تصورية عن الله تعالى، وإن كانت فى مرتبة أقل من مرتبة معرفته تعـالى مـن

---

(15) Ibid ., P.188.

(16) Frederick Copleston : op. cit., p.94.

*ولد أرسطو عام ٣٨٤ ق.م فى مدينـة استاجيرا على بحر إيجه، وتلقى تعليمه على يد بروكسينيس الذى كان وصيا عليه بعد وفاة والده ، التحق بأكاديمية أفلاطون ، وصار تلميذًا له ، وبعد وفاة أستاذه أسس مدرسة سميت باللوكيوم؛ واحتلت هذه المدرسة نفس المكانة التى احتلتها الأكاديمية، وتوفى أرسطو حوالى عام ٣٢١ ق.م .

(See, Allen: Philosophy of Aristotle, collier macmillan, second edition, 1985, p.3,5).

** فيلسوف ولاهوتي ولد في روما عام ٤٧٥ ، من عائلة ارسقراطية ، كان لكتابته أثر كبير على فلاسفة العصور الوسطى ، كما كان له أقوال فى وحدة الوجود

(See, Simon black burn: The Oxford Dictionary of Philosophy, (Saint boetitus), Second Edition Revised, University Press. Inc , New York,2008, p.44)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خلال الصلاة الروحية والتجارب الصوفية، التى تعد مرحلة تمهيدية للرؤية السعيدة أو الطوباوية". (١٧)

ولقد استطاع هوج فى هذا المؤلف أيضاً أن يقدم لنا تصنيفاً آخرًا للعلوم؛ فقسمها إلى علوم نظرية: تشتمل على اللاهوت المقارن، والرياضيات، والطبيعيات،وعلوم عملية: تشتمل على الأخلاق والسياسة والاقتصاد، كما أنه أكد وجود علوم أخرى أطلق عليها لفظه "علوم غير شرعية"، وعلوم أخرى أشار إلى أنها تعد علومًا ضيقة الأفق، وهى تشتمل- على حد تعبيره – على مجموعة من العلوم المتنوعة منها على سبيل المثال لا حصر: الزراعة– الطب – التجارة – المسرح ... وهكذا.

كما استطاع من خلال هذا المؤلف أيضاً أن يقدم برنامجاً منظماً للتربية والتعليم، مؤكداً ضرورة التفكير، وجعله فريضة إلزامية وضرورة حياتية(١٨)، وعلى الجملة يمكن القول بأن نجاح هوج كان يتمثل فى كونه معلماً ذات شهرة وصيت عظيم فى العصر الوسيط ، كما تبدو مؤلفاته، وكأنها بمثابة شريعة، أو قانون عام؛إذ ذكر عنه معاصروه أن مؤلفاته عامة، والصوفية منها خاصة كانت ذات تأثير عميق وشامل أكثر من أية مؤلفات، أو كتابات روحية أخرى، ولم تقتصر أهمية هذه المؤلفات على العمل على إعلاء دور الإرادة فى الحياة التأملية الصوفية، ولكن أيضاً فيما كان لها من انعكاسات، وأثر بالغ على الكتابات الصوفية المدرسية للكتاب المتأخرين بوجه خاص، وللروحانية المسيحية بوجه عام (١٩) .

(17) Frederick Copleston : A History of medieval Philosophy, p.94 .
(18) Ibid ., P.95.
(19) David Knowles : The Evolution of Medieval thought, second Edition, New York, 1988, p.134.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول
مفهوم التصوف وطبيعته عند هوج

أود أن أشير – فى البداية– إلى بيان طبيعة ومفهوم التصوف عند هوج دى سان فيكتور، فماذا عسى أن تكون ؟؟

إذا أردنا الإجابة عن هذا التساؤل لقلنا بأن مصطلح التصوف Mystic يكاد يكون موافقاً – تمامًا – لمذهب هوج ومطابقاً تماماً لفلسفته، والحق أن هوج لم يقصد بالتصوف الواحد، أو بالأحرى " يوحنا" John المصلوب، كما أنه لم يقصد منه وحدة الروح مع الله تعالى خالقها وموجدها، كلا ولكنه يقصد بالتصوف السعى الجاد لأجل إدراك الحقيقة الإلهية، وبيان أن هذا الإدراك لا يكون، أو بالأحرى لا يتحقق إلا بالسعى الجاد لإدراك الفضيلة، مبيناً أن الفرد الذى يسعى سعياً جاداً لإنماء الفضيلة بداخله يصير أكثر شبهاً وقرباً من الله تعالى؛ فالسعيد – على ما نحو ما يرى هوج – هو صاحب القلب النقى، والعلم الغزير، وهو الذى سوف يرى الله ويدركه تعالى لا محالة .(٢٠)

ولكن وعلى الرغم من تركيز هوج على مسألة القلب النقى وإحراز الفضيلة، إلا أنه لم يغلق الباب أمام العقل ولا العلم، بل على العكس، كان يرحب بكل العلوم والمعارف، مؤكداً أن كل أنواع التعلم الإنسانى يمكن أن تخدم طالب اللاهوت، ولعل هذه العبارة الأخيرة قد جعلت لهوج خصوصية وجوهرية وسطية – إن صح التعبير – فى فلسفته اللاهوتية عامة ومنهجيته الصوفية خاصة؛ إذ نجد عند تحليلها أنها تشتمل على معنيين:-

الأول :

تركيز هوج على اكتساب كل ألوان العلوم والمعارف وضرورة الاطلاع عليها لأجل فهم الكتاب المقدس. (٢١)

الثانى :

تأكيد هوج على أن كل العلوم والمعارف تعد معبراً إلى الحكمة الإلهية، أو بالأحرى تعد سبيل الإنسان المباشر إلى المشاركة فى الحكمة الإلهية الطبيعية (٢٢)

---

(20) Ibid ., P.130.

(21) David Luscombe: Hugh of Saint victor, an essay in The Encyclopedia of Philosophy, Vol.7, Editor in Cbief by Paul Edwards, Macmillan Publishing, Co., Inc, the free Press New York, 1972, p.277.

(22) Ibid ., P.277.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني
صلة المعرفة بالتصوف عند هوج

عرضنا فيما سبق لمفهوم التصوف وطبيعته عند هوج دى سان فيكتور، وانتهينا إلى بيان أن منهجيته الصوفية أكدت أن إدراك الحقيقة الإلهية لا يكون إلا بتحصيل المعارف العلمية، والمعانى النظرية على اختلاف أنواعها، مؤكداً أن الوصول إلى الواحد لا يكون إلا بإدراك هذه المعانى.

والآن نعرض لصلة التصوف بالمعرفة عنده. فقد أكد هوج أن المعرفة تمثل ضرورة حتمية لعملية التأمل؛ فكل مرحلة من مراحل الفنون الأدبية تهدف – بشكل مباشر فى رأيه – إلى استعادة صورة الله تعالى فينا، ومن هنا كان شعاره " تعلم كل شئ Learn Everything؛ وسترى بعد ذلك أنه لا شئ يعد أمراً غير ضروريNothing is Syperfluous"، ولقد اتخذ هوج من هذا الشعار سبيلاً لأجل الوصول إلى الله تعالى، مبيناً أن هذه المعرفة تعد معرفة عالمية Universal بطبيعتها الخاصة والمميزة جداً، وبالتالى يمكن الوصول إليها، أو بالأحرى الحصول عليها بسهولة؛ بمعنى أنها تكون متاحة وسهلة المنال للجميع، ولا تكون قاصرة على فئة بعينها، أو بالأحرى أنها ليست خلاصة فردية أو تجربة شخصية، كما أنها ليست ومضية ولا لحظية، ولكنها ثابتة ويقينية [٢٣].

يقول هوج: "تعلم وأياً كان تعلمك؛ فإن كل العلوم مفيدة "[٢٤]؛ فكل العلوم متضامنة ومتكاملة؛ فإذا افتقدنا أحداها؛ فالأخرى – بكليتها – لن تصنع فليسوفاً ؛ فالعلم المختصر يفتقر إلى الجاذبية، وعليك أن تراجع – بدقة – كل العلوم الحرة؛ فالتفرغ لبعض العلوم الخاصة – مع نبذ الأخرى – لا يمكن أن يؤدى إلى الحكمة الحقة ".[٢٥]

ويمكن القول بأن هوج لم يقتصر فى منهجيته الصوفية على علم دون آخر، كما أنه لم يركز على معرفة دون أخرى، ولكنه سعى سعياً جاداً لإدراك النسق

---

[23] The New Encyclopedia Britianica, Vol.,2, p.188. Hugh of Saint victor.

[24] Frederick Copleston : op. cit., p.94

[25] إيوار جوتو: الفلسفة الوسيطية، ص ٩٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعرفى أيًا كان هو دون تمييز لمعرفة على أخرى، أكثر من سعيه لأجل الإلمام بالمناظرات العلمية والحجج المنطقية، ومن هنا كان تأكيده على التحول نحو المعرفة، لأجل الوصول إلى الحكمة التأملية، مبينًا أن القارئ والمطلع على العلوم الأرضية (الدنيوية) يجّد أنها قائمة ومتعلقة بالأمور السماوية (الأخروية)؛ فالعلوم الدنيوية – من نظره – تعد مرحلة تمهيدية للعلوم الإلهية. (٢٦)

ولقد أقام هوج تصوفه على ثلاث مراحل ذات صلة وثيقة بنظريته المعرفية، وهذه المراحل يمكن عرضها على النحو التالي :

١ ـ المرحلة الأولى :

تتمثل في معرفة العالم المحسوس بالحواس الخمس، 5 Senses وبالتخيل، وأيضاً بالتجريد، ويسميها هوج بمرحلة "عين الجسد"، ويميز فيها تمييزًا واضحاً بين الإحساس والتخيل من جهة، والفكر الكلى المجرد من جهة أخرى، ويفسر الصور المجردة على أنها تدرك بفعل تأثير العقل الفعال Active Entellect في المخيلة؛ بمعنى أن العقل الفعال يشرق على الصور المحسوسة؛ فتتحدد وتتضح معالمها الجوهرية .

ولعل الفكرة المحورية – فى هذه الدرجة – تتمثل في النظر إلى هذا العالم المحسوس على أنه دلالة على وجود حقيقة غير منظورة ؛ بمعنى أن هذا العالم الذى نعيش فيه يعد علامة، أو دلالة على وجود الله تعالى، غير أنه لا يعبر عنه، أو بتعبير أخر أن مجال الطبيعة – إن صح التعبير – يدل على وجود صانع لها، ولكنها لا تفتح أو بالأحرى تنير عين من يتأمل ؛ فالعالم يتوقف – إذن – عند مرحلة الاستدلال على وجود خالق له دون أن يرقى إلى مرحلة التأمل فى هذا الخالق؛ بحيث يكون العالم – وعلى حد تعبير هوج – أشبة بكتاب صنع بأصبع الله تعالى – إن صح التعبير – ؛ فعظمة الخليقة تدل على وجود الله القادر على كل

(26) David Luscombe : op. cit., P.278.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شئ، كما أن جمال الكون يشهد بحكمته تعالى، وكذا غائية الأشياء فهى تدل على فضله تعالى(٢٧) .

ولعل هوج متأثر هنا ولا محالة بمقولة القديس بولس التى تقول : بأن "كمالات الله تعالى غير المنظورة ترى من خلال المنظورات"، أو بالأحرى أن ما لا يرى من الله تراه خليقة هذا العالم عن طريق فهم ما خلق.

٢ – المرحلة الثانية :-

تتمثل فى معرفة النفس لذاتها، ويسميها هوج بمرحلة "عين العقل" ويبين هوج فى هذه المرحلة أن الشعور بالذات يشهد على وجود النفس، ويكون خير دليل على وجودها؛ فالحكيم يكتشف فى ذاته جوهرية النفس، وروحانيتها، وحضورها فى الجسم كله، مبيناً أنها "أعنى النفس" ليست إلا الأنا، أو بالأحرى الذات على حد تعبيره، وأنها واحدة، وتتسم بالروحانية والخلود، وتمثل جوهر الشخصية الإنسانية.

وفى هذه المرحلة يبين هوج أن الإنسان كائن يعلم علم اليقين – وبما لا يقبل أى شك – أنه موجود، وأنه متميز – لا محالة – عن الجسد بالروح؛ وهذا يعنى أنه روح أيضاً بالإضافة إلى أنه جسد؛ بمعنى أنه يجمع فى ذاتيته بين ثنائية الروح والجسد، وعلى الجملة يمكن القول بأن الإنسان – فى هذه المرحلة – قائم بين العالم المرئى (المادى)، والعالم غير المرئى (الروحى)، وهو ينتمى إلى الأول بالجسد، ويتجه بالثانى نحو الله (٢٨) .

٣ – المرحلة الثالثة :-

تتمثل فى معرفة الله تعالى، ويسميها هوج بمرحلة "عين المشاهدة"، وهى تختلف – فى نظره – عن البرهنة على وجود الله تعالى، حيث إن هذا الوجود نصل إليه بالتجربة الظاهرة والباطنة، أما التجربة الباطنة فهى تطلعنا، أو بالأحرى تدلنا على وجود شخصية علمها بذاتها محدود من جهة الزمان، ومن ثم فهذا يدلنا على أنه لابد من بداية، وهذا أيضاً – بدوره – يدلنا على أن هناك بداية أولى،أو

---

(27) Giovanni Reale, Dario Antiseri: Pensiero occidentale dale origini ad oggi; Storia delle idée fiolosfiche e scientifiche. 1, Antichitàe Medio Evo; Editrice la Scuola, 1985, p.387.

(28) Ibid ., P. 387.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالأحرى موجود أول يمثل مبدأ أو أصل ما عداه من الأشياء، وأما التجربة الظاهرة؛ فهى تشهد بتغير الأشياء، وهذا التغير – بنوره – يدلنا على أن للأشياء بداية أولى مما يدلنا على وجود مبدأ أول لهذه الأشياء جميعاً، ألا وهو الله تعالى الخالق العظيم.

وكما أن لكل عين من عيون النفس الثلاثة موضوعًا خاصاً بها؛ فإن هناك – بالتالى – رؤية خاصة بكل منها؛ فالتفكير نظرية سطحية، والتأمل تفكير متصل ومتعمق فى نقطة واحدة ووحيدة، والمشاهدة تمثل حدسًا كلياً شاملا وعميقًا .(٢٩)

وعلى الجملة يمكن القول بأن هوج قد ميز بين درجة "عين الجسد" والتى يمكن للنفس – من خلالها – أن ترى الأشياء الخارجية، ودرجة "عين العقل"، والتى تستطيع أن ترى، أو بالأحرى أن تطلع على حقيقة هذه الأشياء الخارجية، ودرجة "عين المشاهدة"، والتى تتجه مباشرة نحو الله تعالى، (٣٠) مؤكداً أن الحكمة الأسمى لا تتحقق – بكليتها – إلا فى درجة "عين المشاهدة"؛ تلك التى تمهد لها بنقص الأشياء وبتغيرها، ثم يتبعها التأمل فى معرفتنا بالعالم الخارجى، ثم تكتمل – فى النهاية – بالاتجاه مباشرة نحو الله، والوصول إليه تعالى فى ظل السكوت التام للفم والذهن والعقل – إن صح التعبير – وفى الثبات الكامل أيضًا للعقل والذاكرة والإرادة مما يؤدى – لا محالة – إلى الوصول إلى حالة "المشاهدة" التى تمثل غاية الغايات وأسمى الدرجات. (٣١)

ومن الواضح أن هذه المراحل الثالوثية المعرفية عند هوج تتشابه إلى حد كبير مع ثالوث أفلوطين* المقدس – إن صح التعبير – وهو الله – النفس – العالم،

---

(29) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط، دار المعارف ، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١١٤ ، ١١٥ .

(30) جورج طرابيشى: معجم الفلاسفة "مادة هوغ دى سان فيكتور"، ص ٧١٥ .

(31) نفس المرجع ، ص ٧١٥ .

* ولد عام ٢٠٥ق.م في مصر ، ودرس فى الإسكندرية ، وتلقى تعليمه فى روما ما بين عامى ٢٦٨ : ٢٤٥ ق.م، ألف كتاباته ما بين عامى ٢٧٠ ، ٢٣٥ وكانت على شكل تاسوعات Enneads ، وتوفى عام ٧٠ ب م .

See, Antony Flow: A Dictionary of Philosophy, (Plotinus), Macmillan press, LTD, First Published, London, 1979.p.258.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غير أن هوج قد ربط ربطاً شديداً بين هذه الثالوثة المعرفية، وبين نظريته الصوفية، مبيناً أن أهم وأسمى هذه المعارف الثلاثة هى معرفة الله تعالى، والتى تمثل "عين المشاهدة" على حد تعبيره، والتى لا تتحقق إلا من خلال حدس عميق وشامل مؤكداً أن لدينا قوة إدراك لذات الله تعالى، بالإضافة إلى قوة إدراكنا لذات النفس والعالم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث
مراحل الصعود إلى الله تعالى عند هوج

عرضنا فيما سبق لمفهوم التصوف وطبيعته عند هوج، ثم تناولنا صلة التصوف بالمعرفة عنده، والآن نعرض لمراحل الصعود إلى الله تعالى عنده، حيث يبين هوج أن الروح – فى سبيل صعودها نحو الله تعالى والوصول إلي درجة الارتقاء الكمالى – تمر بمجموعة من المراحل، أو بالأحرى من الحقائق اللاهوتية تشير إلى الشكل التصاعدى للخلائق ودرجاتها، وبيان مدى قبولها لمدركات العقل ومنابع الإيمان حتى تصل إلى ذروتها فى حالة التأمل . (٣٢)

وهذه الحقائق يمكن عرضها على النحو التالى :-

أولاً: إعمال العقل في الوصول إلى الإيمان.

ثانياً: تقديم الإيمان على العقل فى الوصول إلى بعض الحقائق .

ثالثاً: دور المجد الإلهى Glory فى الوصول إلى الأسرار الإيمانية والحقائق اللاهوتية (٣٣) .

أولاً: إعمال العقل فى الوصول إلى الإيمان :

حيث يبين هوج أن هناك أمورًا عقلية بكليتها، بمعنى أنها لا تدرك إلا بالعقل، وذلك كالحقائق الرياضية، ومبادئ المنطق وقواعد الجدل والبرهان،(٣٤) اعتقاداً منه بأن العقل يكتسب المعرفة عن طريق التجريد؛ فالعقل يتفاعل مع الحواس الخمس، حتى يصل إلى المعرفة، وبالتالى يعد التصور العقلى أساساً للمعرفة العلمية.(٣٥)

ومن الملاحظ أن هوج قد ركز فى هذه النقطة على مصطلح "التجريد"Abstraction الأرسطي الأصل؛ ذلك المصطلح الذي كانت له الصدارة

---

(32) جورج طرابيشي: المرجع السابق، ص ٧١٥ .

(33) David Knowles : The Evolution of Medieval thought, p.131.

(34) Giovanni Reale, Dario Antiseri Pensiero occidentale dale origini ad oggi, p.389.

(35) David Knowles : op.cit., p.131.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأولى والسيادة العظمى فى القرن الثالث عشر الميلادى (٣٦)، والذى اعتقد أن تاريخ العلوم محكوم – إن صح التعبير – بمبدأين فى غاية الخطورة هما: خلق العالم Creation ، والعودة Return من خلال المسيح وذلك بفعل التجسدIncarnation والأسرار المقدسة، ولقد اعتمدت فلسفة هوج – بشكل مباشر – على هاتين القضيتين اللتين توحدا فى فكره؛ فالمعرفة الأولى للإنسان تتمثل، أو بالأحرى تكمن فى صميم وجوده، وفى داخل روحه التى تختلف وتتميز تمامًا – عن الجسد (٣٧)، وهو فى بيان هذا يقول: "إن الإنسان الأول كان مبدعاً تمام الإبداع، ومتميزاً غاية التميز؛ ولذا فإنه كان دائماً يتأمل فى صورة الخالق، وبتأمله لها دائماً كان يحبه دائماً، ويتعلق به دائمًا، ويكتفى به وحده، ويقتصر عليه وحده، وقد أدى هذا التعلق والاستغناء به عن غيره إلى أنه صار يتمتع من قبله تعالى بالأبدية، وكان يهنأ بالعيش فى اللانهائية، ولكنه بعد الخطيئة الأصيلة Original sin صار يتخبط فى عماء الجهل وظلام البعد وبالتالى فقد فارق اللانهائية، وتخلى عن السعادة الأبدية".

وبعد محاولات عديدة، وتأملات بعيدة تذكر، أو بالأحرى أدرك أن الرغبات الجسدية هى التى أدت به إلى فقدان المعارف الإلهية، والسعادات الطوباوية، ومن هنا فقد صار عبدًا آبقًا, ومنحرفاً وليس له من حيلة لأجل الخروج من هذا المأزق إلا بالبعد عن تلك الأمور الدنيوية والركون نحو الغايات الاخروية والتبرأ من كل ما هو أرضى دنيوى والميل نحو كل ما هو علوى وأخروى ؛ وذلك لأن الشهوات غير المنظمة تفقد صورة الله تعالى فى صاحبها؛ ولذلك فإنه يجب على الإنسان أن يتخلى عن شهواته الدنيئة حتي لا تتمحى صورة الله تعالى فيه، وعليه أن يلتزم بمحبة الله تعالى ما استطاع إلي ذلك سبيلاً؛ فالحب هو السبيل الوحيد الذى يصل بصاحبه إلى الخير الأعظم، ويدخله فى حالة من السكون والطمأنينة، كما أنه لابد من العمل الدائم والحرص الشديد على دفع القلق وطلب الطمأنينة؛ فالقلب يمرض

(36) David Luscombe: Hugh of Saint victor, P. 278.
(37) Ibid ., P. 277.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بتعلقه بالدنيويات وإتباعه للشهوات، والعلاج يكون بمحبه الله تعالى، والسعى نحوه، أو بالأحرى باتجاه الفرد بكليته نحو الله والدخول فى حضرته تعالى مستخدماً فى ذلك عقله ومعارفه؛ فلربما يصل الإنسان إلي محبة الله تعالى، ولربما يتحقق الحب الخالص – من قبل الله تعالى – للأرواح الشفافة النقية من خلال عقل الإنسان ومعرفته (٣٨) .

ولكن وعلى الرغم من تأكيد هوج على ضرورة مجاهدة الإنسان لشهواته، واعتماده فى نفس الوقت على النواحى الفكرية والأمور المعرفية إلا أنه لم يغفل دور النعمة Grace لأجل الوصول بالإنسان إلى حالة الخلاص* من هذه الأمور الدنيوية والعلائق المادية؛ فالإنسان بمفرده لا يستطيع الخروج من هذه المحنة، ولكن بالنعمة (أى باللطف الإلهى) يتحقق له الخلاص لا محالة .(٣٩)

وتجدر الإشارة إلى أن فكرة الزهد وعدم التعلق بالدنيويات التى أكد عليها هوج وربط بينها وبين الوصول إلى محبة الله موجودة بنصها عند أفلاطون* الذى دعا إلى ضرورة الالتزام بالزهد وترك العلائق المادية والشهوات الدنيوية لأجل الوصول إلى المعرفة اليقينية وهو فى هذا يقول : "إن الفيلسوف يريد أن يتخلص من عينية وأذنيه ليشهد الحقيقة بضوء العقل وحده"، ويقول أيضًا "إن المعرفة

---

(38) Henary Osben Taylor: The Medieval mind, Vol.2, Harvard University press, forth Edition, New York, 1962.P.396,397.

* تمثل فكرة الخلاص محورًا أساسيًا فى الدين المسيحى وهو لا يعنى عملاً موضوعيًا ولكن أمرًا شخصيًا وجوديًا ، وخلاص الإنسان فيما ترى المسيحية لا يأتى من الإنسان ولكن من يسوع المسيح ومن الكنيسة، وطريق الخلاص مفتوح للبشرية جمعاء، ولكنه لايعطى فى قلب حالتنا الزمنية؛ ولذا فهو يظل موضوع الرجاء الأساسى . (انظر: كارل راهنر، هربرت فورغريملر: معجم اللاهوت الكاثوليكي ،"مادة الخلاص" ، نقله إلى العربية المطران عبده خليفة، دار المشرق، بيروت ، ١٩٨٥، ص ١٢٦، ١٢٧).

(39) Henary Osben Taylor, op. cit., P. 396.

* ولد أفلاطون فى أثينا عام ٤٢٧ ق.م . من أسرة أرستقراطية ، تتلمذ على يد أستاذه سقراط ، وكان يكن له الحب العميق والاحترام الشديد، نبغ فى الموسيقى ، وبرع فى قراءة الشعر ، أسس مدرسة بأثينا سميت بالأكاديمية . وكانت هذه من أشهر المدارس آنذاك ، وتوفى أفلاطون عام ٣٤٨ ق.م عن عمر يناهز الثمانين

"See: A. H. Armistrong: an Introduction to ancient Philosophy, Methuen and col,LTD., London,1957.P.33".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليقينية لا يمكن الحصول عليها إلا بالتطهر، الذي يعنى انفصال النفس بقدر الإمكان عن الجسد. (٤٠)

كما يبدو تأثره الشديد بالقديس أوغسطين الذى أكد نفس الفكرة في مؤلفه الثالوث بقوله: "اعلمى أيتها النفس المثقلة بهذا الجسد الفانى أنك لا تستطيعين أن تعلمى ماهية الحقيقة ما لم تتخلصى من ظلام العلائق الجسدية، وسحب الأوهام المادية التى تحول بينك وبين الوصول إلى الله ومعرفته تعالى". (٤١)

ثانياً :- تقديم الإيمان على العقل في الوصول إلى بعض الحقائق :-

إذا كان هوج قد أكد فى المرحلة الأولى أنه لأجل أن تتحقق المعرفة الأدق عند اللاهوتى؛ فإنه لابد أن يستخدم عقله فى إدراك محتوى الحقائق الإيمانية (٤٢)؛ فإنه قد أكد فى هذه المرحلة الثانية على أن هناك حقائق تكون مفارقة، أو بالأحرى، موالية للعقل، وذلك كالحقائق اللاهوتية التى تتطلب فى فهمها مساندة الإيمان (٤٣)، حيث بين هوج أن العقل – أحياناً – يكون موضع شبهة، ومن ثم فالإيمان ضرورى للاعتقاد فى الأشياء الغائبة القائمة فوق الظن وتحت العلم . (٤٤)

كما بين هوج أيضاً أن هناك مجموعة من الحقائق التى يصل إليها الإنسان من خلال الإتحاد أو الجمع – إن صح التعبير – ما بين العقل والإيمان، ومن ثم فليس ثمة تعارض ما بين العقل والإيمان؛ فالعقل يساعد الإيمان، والإيمان يتطور عن طريق العقل،وبالتالى فجميع المعارف مفيدة، وكذا كل القراءات والمطالعات؛ فكتابة أو بالأحرى تدوين العلوم يعد أحد فنون القراءة؛ لأننا نعلم من خلال التدوين ما ينبغى مطالعته، وبأى نظام، كما نتناول فيه الفنون السبعة الحرة، باعتبارها

---

(40) أفلاطون : محاورة فيدون ، ترجمة د. عزت قرنى ، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٣٧، ٦٧ ب.

(41) Sancti Avrelir Avgustini: De trinitate, Series latina, "L-la", Tvrnholti, T, pographi brepols, editors pontifici, 1968, "8,2".

(42) Henary Osben Taylor: op. cit. p. 397.

(43) Giovanni Reale, Dario Antiseri: Pensiero occidentale dale origini ad oggi, p.389

(44) جورج طرابيشى: معجم الفلاسفة "مادة هوج دى سان فيكتور"، ص ٧١٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مدخلاً عاماً لدراسة الكتاب المقدس واللاهوت، ومن هنا تتضح المؤازرة التامة ما بين العقل والإيمان(٤٥).

ثالثاً: دور المجد الإلهي في الوصول إلى الأسرار الإيمانية والحقائق اللاهوتية :-

يبين هوج فى هذه المرحلة أن هناك حقائق تكون فائقة للعقل، أى أنها تفوق العقل وتعلو عليه, وهي التى تأتى عن طريق قوة العطاء أو المجد الإلهـى *، أو بالأحرى غزارة المجد الخلاق، وبيان ذلك أن الفرد- عن طريق مجد الله – يمكن له أن يدرك، أو بالأحرى أن ينفذ إلى الأسرار الإيمانية، والحقائق اللاهوتية(٤٦).

ولعل هذا فى الحقيقة يمثل قاعدة مسيحية عامة، وتعاليم لاهوتيـة خاصـة؛ فالتفكير – بمفرده – ليس هو المصدر الوحيد، أو بالأحرى لـيس هـو المـصدر الوحيد المعترف به أو المركون إليه، ولكن هناك تصورات أخرى عديدة تنتج عنه (٤٧).

وهنا يتاح لنا الحديث عن الحياة الروحية فى قمة ذروتهـا، وفـى أعلـى نشوتها، حيث نكتشف فى الإنسان – بالمنهج الأوغـسطينى – صـورة الثـالوث المقدس، كما يمكننا معايشة أسرار هذا الثالوث عن طريق أداء الصلوات، وإنـشاد الابتهالات حتى نصل إلى حالة المشاهدة، يقول هوج : "زين لله أن يتمثل لنـا مختبئاً ومحجوباً حجباً تاماً، بحيث يمسى مجهولاً ،ثم تتاح لنا معرفته، ولكنها تكون ناقصة؛ بمعنى أنه لا ينكشف كلية"،؛ بمعنى أن الله تعالى يوفر لنا طرفا معروفـا

---

(45) Henri Platelle : Bibliotheca Sanctorum, Città Nuiva, Voi.xII, 1969, col. 777.

* إن ما نسميه مجد الله فى الكتاب المقدس إنما يعنى أن يتعرف الإنسان على المجد الخاص بالله حسبما يظهر فى ظهورات الله المختلفة ، والمجد نوعان : داخلى وخارجى، ومجد الله الداخلى هو التعرف على ذاته فى المعرفة والحب ، والخارجى هو الذى يعرف فى الخليقة، أو تتعرف عليه الخليقة . (انظر: كارل راهنر، هربرت فورغريملر: المرجع السابق، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥).

(46) Henary Osben Taylor: op. cit., p. 397.

(47) Ibid ., P. 397.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وظاهرًا منه لأجل تغذية قلب الإنسان، وطرف مجهول ومحجوب منه أيضاً للحث على البحث عنه تعالى (٤٨) .

ولعل هذه المرحلة توضح لنا كيف أن الإيمان – فى حالة ارتقائه وتميزه – يؤدى بنا لا محالة فى مشاهدة الله وإدراكه تعالى (٤٩) .

يقول هوج: " إذا حقق أى فرد إرادة الأبّ فيه؛ فإنه سوف يصل – من داخل نفسه – إلى معانى الحقائق الهامة من الإيمان، وعندئذ سوف تمتلئ نفسه بتيار الحقائق الإيمانية، وسوف تتجلى له أسرار التعاليم الروحانية، وشفافية الحقائق اللاهوتية" (٥٠) .

ومن الواضح أن هوج قد تأثر في هذه المرحلة تأثراً شديداً بنظريته المعرفية، مركزاً فى ذلك على الإشراق Illumination، أو ما يعرف "بالاستنارة الإلهية" للعقل كحالة معرفية (٥١)، مؤكداً ضرورة أن يخضع الإنسان، أو بالأحرى كل فرد فينا إلى حالة من الانفتاح –إن صح التعبير– تؤدي به إلى درجة التأمل، وهو يفهم حياة الرهبنة على أنها بمثابة سلسلة متتالية من التجارب النفسية، أو التدريبات الروحية – التى تمر بها النفس، والتى تتمثل حسب أولويتها وأهميتها في القراءة، ثم التفكير، ثم الصلاة ثم تنتهى بالوصول إلى حالة التأمل"، مبيناً أن هذه المرحلة الأخيرة (أعنى التأمل)، تعد هى الغرض الرئيس،والهدف المباشر الذى يهدف إليه كل نشاط إنساني، كما أنها تعد بمثابة النور الذى يضئ مساعى هذا النشاط(٥٢)، ولعل هوج يقصد بحالة التأمل هنا، تأمل الأسرار الإلهية التى ينتهى ويجب أن ينتهي إليها كل شئ كنقطة الذروة لكل نشاط ذهنى وأخلاقى(٥٣).

وإذا أردنا تحليل هذه المراحل التى تمر بها النفس – حتى تصل إلى ذروتها فى حالة التأمل – فسوف نجدها أنها تبدأ بالقراءة أى المعرفة؛ وتعنى التعرف، أو

---

(48) Giovanni Reale, Dario Antiseri: op. cit., p.389.

(49) Ibid ., P. 389.

(50) Henary Osben Taylor: op. cit., p. 397.

(51) Ibid ., P. 397.

(52) إدوار جونو: الفلسفة الوسيطية، ص ٩٧.

(53) Giovanni Reale, Dario Antiseri: op. cit., p.389.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالأحرى الإطلاع أو قراءة الكتب المقدسة، ثم بالتفكير فيما تمت قراءته، وما حصل من معارف واستيعابه جيداً، ثم بأداء الصلوات بعد ذلك بتدبز وخشوع وتذلل وخضوع، ثم – فى النهاية – الوصول إلى غاية الغايات وأسمى الدرجات والتى تتمثل لا محالة فى حالة التأمل(٥٤).

وتجدر الإشارة إلى وجود تشابه كبير بين ما ذكره هوج فيما يتعلق بنظرية الإشراق، وما ذكره أفلاطون فى هذا الصدد قائلا: "إذا كان الفن الجيد هو ما اعتمد على المعرفة الفلسفية؛ فإن المعرفة الفلسفية لم تعد بدورها مجرد نشاط عقلى جامد فى متناول عامة الناس، بل إنها تتطلب نوعًا من الكشف أو التذكر، والتجربة الصوفية هى وسيلة الفيلسوف لأجل الاتصال بهذا العالم الذى يفوق الوصف".(٥٥)

(54) The New Encyclopedia Britianica, Vol.,2, p.188. Hugh of Saint victor

(55) أفلاطون : محاورة فايدروس ، ترجمة د. أميرة حلمى مطر، دار المعارف ، ط١، القاهرة ، ١٩٨٦، ٢٤٧جـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة والنتائج

ينتمي هوج إلى طائفة اللاهوتيين فى القرن الثانى عشر الميلادى، ومع ذلك فقد فاقت شهرته كصوفى شهرته كفيلسوف، فهو لاهوتى بفضل مؤلفاته القيمة والكثيرة ، وصوفى بفضل ما ذكره من معان رائعة فى الحياة الروحية، وما ألفه من أعمال غاصت فى المجال الصوفى، ومراتب الحياة الصوفية، والمراحل المؤدية بالنفس إلى المشاهدة ، وكذا فى موضوع الحب والمعرفة والمشاهدة والتأمل العميق.

ويمكن إجمال أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال هذه الدراسة فيما يلى :-

١ – يعد هوج شخصية موسوعية ، متعددة الأبعاد ، مترامية الأطراف – إن صح التعبير – منفتحة علي العلوم ، ومستمسكة باللاهوت، وخاصة العقائدى منه ومتعلقة بالنواحى الصوفية والحياة التأملية؛ فنجده قد جمع في أعماله ما بين العلوم العالمية والعلوم المقدسة، مبيناً أنه ليس ثمة تعارض ما بين الدين والفلسفة، أو العقل والإيمان؛ فالعقل– في نظره – يساعد الإيمان، والإيمان يتطور عن طريق العقل، ومن هنا كان تأكيده على أن كل المعارف وجميع العلوم مفيدة، ولقد أعيدت كلمات هوج وعباراته ، وتم إحياؤها مرة ثانية على يد الفيلسوف الفرنسى رينيه ديكارت؛ تلك التى تحدثت عن العلم والعلماء وأقسام العلوم بشكل عام .

٢ – استطاع هوج أن يجمع بين المذهب المدرسى والمذهب الصوفى ، وسعى سعياً جاداً لأجل تنمية وسيادة الفكر اللاهوتى والفلسفى معاً فى هذا القرن، وأن يدمج سائر المعارف اللاهوتية فى توليفة عقائدية بعيدة من الانغلاق علي ذاتها، ومنفتحة علي الأبعاد اللامتناهية للتأمل والحب الإلهي , فكان – إن صح التعبير– أوغسطين الثانى The Second Augustin حيث أثبت أن معرفة الإنسان الأول تعتمد بشكل مباشر علي صميم وجوده، أو الأحرى تكمن فى داخل روحه التى تختلف تماماً عن الجسد وتعرف من خلاله، ولعله قد تأثر فى هذا أيضاً بالتوجه الصوفى الأورثوذكسي بوجه عام .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣ – جمع هوج بين المذهب الأفلاطونى المسيحى، وبين الجدل الأرسطى في مذهبه الصوفى، وذلك في معرض حديثه عن المعارف الأولية للإنسان، وعن التجريد وما أولاه من أهمية فى نظريته المعرفية المتعلقة بالتصوف، كما يبدو تأثره بأفلاطون فى حديثه عن نشأة الخلق والحقيقة المسيحية .

٤ – على الرغم من تأكيد هوج على ضرورة الجمع بين العقل والإيمان، إلا أنه كان يميل فى كثير من الأحيان إلى الإيمان،ويقدمه علي العقل مبيناً ضعف العقل ، بل وعجزه فى بعض الأحيان عن الوصول إلى بعض الحقائق، ومن هنا فقد وصفه ريتشارد بأنه كاتب روحانى Spiritual Writer، أى أنه كان أميل إلى الأمور الروحانية منها إلى الأمور العقلانية .

٥ – ربط هوج ربطاً شديدا بين الأبعاد المعرفية والأبعاد الصوفية؛ فكانت المعرفة – فى نظره – تمثل ضرورة حتمية، أو مقدمة ضرورية لعملية التأمل؛ فكل مرحلة من مراحل الفنون الأدبية السبعة تهدف – فى رأيه وبشكل مباشر – إلى استعادة صورة الله تعالى فينا ، بحيث يمكن القول بأن شعاره: "تعلم كل شئ" كان هو أساس الفكر ومنبع التصور وحجر الزاوية فى فلسفته عامة وفى فلسفته الصوفية خاصه .

٧ – اتضحت ملامح المذهب الصوفى فى فلسفة هوج لا محالة؛ إذ ترك لنا مذهباً فى التصوف ذات مراحل معرفية ودرجات روحية، غير أننى أود أن أشير إلى أن هوج لم يكن من الصوفية ذوى التجارب بقدر ما كان فليسوفاً ولاهوتياً ذا مذهب من التصوف؛ إذ هو يخضع – لا محالة – لتصوف الفلسفة التى تسمو بالنفس إلى أعلى درجات الروحانية، وقمم المثالية، والتى تنزع بها نزوعاً قوياً نحو التخلص من العوائق المادية والمتطلبات الجسدية، لأجل الدخول بها في نشوة العبودية وقمم الروحانية وبالتالى الاتصال بالذات العلية.

ومن ثم يمكن القول بأن تصوف هوج لم يكن تصوفاً سلبياً – يتوقف فيه كل نشاط للنفس، كلا وإنما كان تصوفاً فعالاً ومكتسباً، يقوم على أسس عملية ووسائل حياتية؛ إذ من المعروف أن هوج لم يتخل– فى حياته – عن العالم، ولم يعتكف ولم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحتجب عن الناس، كما أنه لم يرفض العالم ولا العمل، بل كان يدعو إلى السعى والاجتهاد، والإقبال على دراسة كافة العلوم والمعارف والإطلاع عليها دون التوقف عند بعضها. واعتقادى أن هذا هو التصوف المنشود الفعال الذى ينهض بالمجتمع ويدعو إلى العلم والعمل، والذى ينير الطريق ولا يظلمه والذى يتأرجح دائماً بين المادة والروح، بين النفس والعقل، بين الحركة والسكون، بين الله تعالى والإنسان الفرد .

٨ – على الرغم من حديث هوج عن المراحل التأملية والدرجات المعرفية شديدة الصلة بالناحية الصوفية، إلا أنه لم يحذو حذو المتصوفة الذين يستفيضون فى الحديث عن الأسرار اللاهوتية، والتجارب الصوفية ذات الخبرات الخاصة التى لا يمكن نقلها للغير أو الحديث عنها، بل على العكس من ذلك نجد أنه أكد أن هذه المعارف تكون معارف عالمية – إن صح التعبير – ؛ بمعنى أنها تكون متاحة للجميع ، كما بين أنها ليست معارف وقتية أو لحظية أو مفاجئة لصاحبها، ولكنها تكون متاحة لكل موجود، كما بين أيضاً أنها لا تكون فردية ؛ بمعنى أنها لا تكون قاصرة على فئة معينة من البشر دون سائر البشر كافة، وهذا يعد بعداً تجديدياً فى مذهب هوج الصوفى، مخالفاً بذلك ، ومعارضاً لكافة المذاهب الصوفية السابقة عليه والمعاصرة له فاتحاً الباب وموسعاً المجال – إن صح التعبير – أمام الجميع للوصول إلى الذات الإلهية، وإدراك المعانى اللاهوتية، والخوض فى ساحة الحياة الروحية .

والآن وقد انتهينا من بيان حقيقة التصوف عند هوج يحق لنا أن نتساءل عن أصل نزعة التصوف عنده، أو بالأحرى عن مسألة الوصول إلى الذات الإلهية، أو ما عرف "بعين المشاهدة" على حد تعبيره، وهنا يكون السؤال : هل كان هوج – فيما يتعلق بالمشاهدة – صوفياً أحادياً؛ بمعنى أنه كان يؤمن بالتطابق التام والاتحاد الكامل ما بين الله تعالى والإنسان أثناء المشاهدة ؟. أم أنه كان صوفياً موحداً، بمعنى أنه كان يؤمن بوجود فارق ما بين الذات الإلهية والذات البشرية فى حالة المشاهدة ؟!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والجواب عن هذا أن هوج كان صوفياً موحداً خالصا ؛ حيث أنه – وبنص عباراته – يؤكد أن أقصي درجات المعرفة تتمثل فى "عين المشاهدة " واللفظة واضحة، ولا توحى بأى معنى من معانى الالتباس، أو الغموض، أو الفهم بمعنيين، والتى تتمثل على حد تعبيره فى السكوت أو بالأحرى السكون التام للفم والذهن والعقل، والرقاد المثلث أيضاً للعقل والذاكرة والإرادة؛ وهذه كلها عبارات لا تحتمل أى معنى للإتحاد، ولا تشير أية إشارات للاندماجات، ومن ثم فهى ليست أكثر من تأملات وسكونات وتوقف حركات وتعطيل حاسات؛ بحيث يمكن القول بأن هوج قد أكد علنياً وبعبارات صريحة وواضحة على وجود فارق بين الخالق والمخلوق، أو الإله والإنسان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر :

أ-العربية

١. أفلاطون : محاورة فايدروس ، ترجمة د. أميرة حلمي مطر، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٦.

٢. ـــــ : محاورة فيدون ، ترجمة د. عزت قرنى ، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٣٧.

ب- الأجنبية

3. Avgustini (Sancti Avrelir): De trinitate, Series latina, "L-la", Tvrnholti, T, pographi brepols, editors pontifici, 1968.

ثانيًا: المراجع

أ-العربية

١. جونو (إدوار): الفلسفة الوسيطية، ترجمة د علي زيعور، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط٢، بيروت ، ١٩٨٢م.

٢. كرم (يوسف) : تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار المعارف ، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥م.

ب- الأجنبية

3. Allen: Philosophy of Aristotle, collier macmillan, second edition, 1985.
4. Armistrong (A. H.): an Introduction to ancient Philosophy, Methuen and col,LTD., London,1957.
5. Copleston (Frederick): A History of medieval Philosophy, methuen and co LTD, first Published, London, 1977.
6. Knowles (David): The Evolution of Medieval thought, second Edition, New York, 1988.
7. Marenbon (John): Later medieval Philosophy, (1150-1350), an Introduction, Routledge & Kegan paul LTD, first Published London 1987 .
8. Maries (Julian): History of Philosophy, Dover Publications, copyright, Inc New York, 1967.
9. Reale (Giovanni), Dario Antiseri: Pensiero occidentale dale origini ad oggi; Storia delle idée fiolosfiche e scientifiche. 1, Antichitàe Medio Evo; Editrice la Scuola, 1985.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

10. Southern (R.W) : The making of middle ages, hutchinson and co Publishers, LTD. London. 1978.

11. Taylor (Henary Osben): The Medieval mind, Vol.2, Harvard University press, forth Edition, New York, 1962.

12. Vicppel (F. John), Allan B. Wolter (O.F.M) : Medieval Philosophy, (from st. Augustine to Nicholas of cusa), the free , press, a Division of Macmillan Publishing, Co., Inc, New York, without Date.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم ودوائر المعارف

ا-العربية :

١. البستاني (المعلم بطرس) : دائرة المعارف "قاموس عام لكل فن ومطلب "، مادة القديس أوغسطين ، المجلد الرابع ، دار المعرفة الجامعية ، بيروت، ١٨٨٠م .

٢. دائرة المعارف الكتابية، تحرير وليم وهبة بباوى، "مادة القديس ديونيسيوس"، المجلد الثالث، دار الجيل، ط١، بيروت ، ١٩٩١.

٣. راهنر (كارل)، هربرت فورغريميلر:معجم اللاهوت الكاثوليكي ، "مادة الخلاص" ، "مادة مجد الله"، نقله إلى العربية المطران عبده خليفة، دار المشرق، بيروت ، ١٩٨٥.

٤. طرابيشي (جورج): معجم الفلاسفة "مادة هوغ دى سان فيكتور" ، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٩٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب-الأجنبية

5. Burn (Simon black): The Oxford Dictionary of Philosophy, Saint boetitus Second Edition Revised, University Press. Inc , New York,2008.
6. Dictionnaire de Spiritualité, tome 3, Hugues de Saint victor, "Ascetique et mystique" doctrine et histoire, publié sous la Direction de marcal uiller S. J., tomel, Gabrien beauches et ses fils, paris, 1969.
7. Flow (Antony): A Dictionary of Philosophy, (Plotinus), Macmillan press, LTD, First Published, London, 1979.
8. Platelle (Henri) : Bibliotheca Sanctorum, Città Nuiva, Vol.xII, 1969..
9. The Encyclopedia Americana International Edition Hugh of Saint victor, Vol.14, Published by Grolier tutervoitonal, Inc, Copyright, USA, 1983.
10. The Encyclopedia of Philosophy, Hugh of Saint victor, Vol.7, Editor in Cbief by Paul Edwards, Macmillan Publishing, Co., Inc, the free Press New York, 1972.
11. The lexicon Universal Encyclopedia, Hugh of Saint victor, lexicon Publications, Inc, New York, N. Y. without Date.
12. The New Encyclopedia Britianica, Vol.,2, encyclopedia britianica, Inc. William Benton Publisher, London, 1973,. Hugh of Saint victor.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Hugo of Saint Victor and his Mystic

Summary

This research tackles the issue of Hugo of Saint Victor and his Mystic.

This research consists of introduction, preface, three elements, and conclusion.

In the introduction, the researcher will deal with the definition of her research and will show its importance and the method used in it.

The preface will show Hugo of Saint Victor's life and his writing .

The first element provides a the Definition of mystic of Hugo of Saint Victor and its nature.

The second element provides a the relation Between mystic and Knowledge of Hugo of Saint Victor .

The Third element provides a The stage of God of Hugo of Saint Victor.

This research ends with a conclusion in which the most important results are presented.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner